

اللازم لتطويرها وبناء خطوط انتاجها، تصبح رخيصة للغاية وبالامكان انتاجها بكميات كبيرة. هناك وسائط مضادة، لكن الايرانيين يحسبون الموضوع على الشكل التالي: اذا كان في اسرائيل اربع بطاريات (أرو)، تحوي مجتمعة 65 صاروخاً جاهزاً للاطلاق، ومثلها بالامكان تلقيمها خلال نصف ساعة، فعلى الموجة الأولى أن تنتشكّل من منتهي صاروخ. واذا صارت هذه الصواريخ دقيقة التوجيه، يصبح تأثيرها مختلفاً بالكامل وتتغيّر المعادلة، واذا تمكّنت إيران من الصمود لعشر سنين أخرى، فهي ستقتن صناعة الصواريخ الجوالية، وعندها تتغيّر المعادلة من جديد... الحرب دوماً هكذا: سباق على التفوق. لو كانت المقاومة في لبنان محتفظة بأسلحة وتكتكات الـ2006، لكانت اليوم هدفاً سهلاً أمام اسرائيل، الطرفان في سباق يومي، ومن يجمد في مكانه يتخلف ويتعثر.

### خاتمة

الفارق الأساسي بين تجربة «حزب الله» وتجربة حركة فتح بينه كتاب ليزيد صايغ عن منظمة التحرير الفلسطينية. ياسر عرفات، كما يستخلص الصايغ، لم يأخذ يوماً الصراع العسكري على محمل الجد، ولم ينظر الى الكفاح المسلح على أنه غايّة في ذاته وسيسل أحد للتحريز، بل كان يعتبر أن العمل العسكري ما هو الا «اداة» للوصول الى حلّ تفاوضي. كان «ابو عمار» ابناً وفيّاً لجيله، وصل مبكراً الى قناعة بأن الحرب ضد اسرائيل غير ممكنة، وأن العودة لفلسطين لن تكون عبر تغيير المعطيات على الأرض، بل عبر الوصول الى ترضية مع عواصم النفوذ في العالم. تروي شهادات متعددة أنه، حتى في حماة حصار بيروت في 1982، كان ابو عمار يبحث في كيفية لاستثمار الأحداث من أجل نيل مقعدٍ تفاوضي مع الاميركيين والاسرائيليين.

حجّة من يتجنب الحرب مفهومة، ولكن ماذا تفعل حين تُفرض المواجهة عليك فرضاً؟ هناك نزاعات يمكن تجنبها، بل والتنازل فيها، وهناك مواجهات أخرى لا يمكن الفرار منها. حين يكون استقلالك أو وجودك على المحك، لا تعود الهزيمة خياراً ولا يكون الاستسلام مناحاً. ان كنتم تخافون كثيراً من الموت فاسألوا من عاش تحت الاحتلال، هناك أمور كثيرة أسوأ من الموت ومن يخف من الموت كثيراً لا يمكنه أن يعيش حياة جيدة: الدّل يمكن أن يكون أسوأ من الموت، حياة ملؤها الظلم هي أسوأ من الموت، والهزيمة، في حالات كثيرة، تكون أسوأ من الموت.

\* طالب دكتوراه علوم سياسية، جامعة كاليفورنيا - بيركلي

طوّرت بعد حرب الخليج الثانية، وهي تركّز على عمل سلاح الجو كوحدات «تأثير» مستقلة عن سلاح البر، وأن يصير هدفها الأساسي هو توجيه ضربات استراتيجية في عمق الخصم، بدلاً من أن تكون مجرد ملحق بالجيش مهمته حماية وحداته. أما فلسفة سلاح البر، فقد اطلقت جدالاً لم يخدم الى اليوم. النظرية حتى اسمها معقد وعصي على الترجمة («Systemic Operations Design SOD» - ومن هنا تبدأ المشكلة. الكتيب الذي يشرح النظرية لم يفهمه أحد من قادة الألوية، كما قالوا هم في ما بعد. وهو مملوء بتعابير نظرية وجمل فلسفة لا يمكن استيعابها من قبل من لم يدرس الفلسفة الأوروبية الحديثة. أحد الجنرالات الذين صاغوا العقيدة، شيمون نافي، أعطى مقابلة صحافية بعد الحرب حاول فيها تبرير فلسفته ولوم الجنرالات «الغيباء» و«المحدودين» الذين لم يفهموا عليه. على ما يبدو، وقع شيمون نافي ورفاقه في حب الفلسفة الأوروبية القارية، وانهمكوا في قراءة ميشال فوكو ودريدا، ثم حاولوا صياغة عقيدة قتالية مرتكزة على هذه المعرفة «ما بعد الحدائية». نظرية الـSOD لا تشبه أية عقيدة قتالية أخرى.

## الجيش الإسرائيلي دخل المعركة وهو يتصور أنه يخوض حملة استعمارية

هي تنطلق من مقولة أن «الواقع» نسبي، وأن هدف الجيش الإسرائيلي هو التحكم بتصورنا عن «الواقع» وجعلنا نفقد الثقة بما نعتبره واقعاً. الترجمة العملية لهذه الأفكار صعبة وغريبة، حتى لو فهمها القادة العسكريون، ولكنها، لو شئنا تبسيطها واختصارها، تقول: بأن الاسرائيليين سيهزموننا بأن «يضحكوا علينا». ثم نشبت الحرب وحصل ما حصل. أثبتت مواجهة 2006 أن الحرب ضد جيش متقدم ممكنة، وان كانت غير متكافئة، لكن ظروفها صعبة وكلفتها عالية. عليك أن تتكئ على نقاط قوتك، وأن تكون مستعداً، اذا فرضت المواجهة، لتلقى الخسائر، وقادراً. في الآن ذاته. على ابداع الخصم. هذه، باختصار، هي استراتيجية الدول التي تستعد لحروب مع جيوش غريبة، كالصين وايران. كلما ازدادت قوة الردع تقلص التفوق النوعي وصار بالامكان فرض معادلات جديدة. ايران، مثلاً، تصنع الصواريخ لأنها بديل رخيص عن سلاح الجو. الصواريخ، ما أن تدفع الراسمال

في البيت الأبيض، عاد تلامذة كيسينجر الى الحكم، وهم، كأستاذهم، وظّفوا الاقتصاد في خدمة السلاح. ادخلوا الاتحاد السوفياتي في سباق تسلّح لا قبل له به، وعصروه حتى انكسر. كادت الزيادة الهائلة في الميزانية العسكرية الاميركية بالثمانينيات - في عزّ الركود الاقتصادي - أن تفلس اميركا، وهي غيرت بنية اقتصادها الى الأبد، ولكنها أسقطت الاتحاد السوفياتي. مواجهة البقاع كانت ايداناً بفلسفة «حروب الجيل الرابع»، التي اتقنتها الجيوش الغربية وطبقتها في العراق ويوغوسلافيا وأفغانستان وليبيا، حيث صار بالامكان خوض حملات كاملة بالاعتماد على سلاح الجو، وغزو بلاد وتغيير أنظمة في حروب بلا ضحايا (غريين). عدنا، اذاً، الى سيناريو «حروب الزولو».

### ما بعد الحدائة تهزم الجيش الاسرائيلي

لا تستطيع أي دولة (أو تجمع دول) أن تنافس الاميركيين في ميدانهم وأن تبني جيشاً على شاكلة الجيش الاميركي. حتى الدول الأوروبية الغنية صارت تقلص جيوشها وتتخلى عن أهوام الدفاع الذاتي لأن كلفة المعدات الحربية الحديثة صارت لا تطاق. الجيش البريطاني سينكمش الى أقل من مئة ألف عنصر بعد سنوات قليلة، والامارات العربية المتحدة لديها من الطائرات القتالية الحديثة أكثر مما لدى ايطاليا واسبانيا. الأ أن درس الحرب الامتكافئة هو أن لكل استراتيجية استراتيجية مضادة، ولو حقق الخصم تفوقاً عليك في مجال ما، فعليك أن تضربه في مكان آخر. درس صدام حسين، الذي تعلمه اليوغوسلاف والصينيون واليرانيون، هو أن لا تحاول مواجهة جيش غربي بجيش تقليدي يشبهه. التطبيق الكامل لهذا الدرس كان في جنوب لبنان في 2006، وبعدها انتشر مصطلح «الحرب الهجينة».

الجيش الاسرائيلي دخل المعركة وهو يتصور أنه يخوض حرباً من نمط الحملات الاستعمارية، حيث «التفوق النوعي» يسحق الخصم قبل أن تبدأ الحرب. جيش البر الإسرائيلي دخل الحرب وهو يعتمد أغرب فلسفة قتالية يمكن تصوّرها، وهي تفترض أن اسرائيل ستواجه، الى الأبد، خصماً مهلهلاً ومجمتمعات متخلفة لا تملك ثقة بنفسها. في تموز 2006، كان الجيش الاسرائيلي يعتمد بشكل رئيسي على عقيدتين قتاليتين، الأولى مخصّصة بسلاح الجو واسمها «العمليات المرتكزة على التأثير» (EBO). دان حالوتس كان من مصممي نظرية الـEBO وهو أشرف على تطبيقها في سلاح الجو قبل أن ينتقل الى رئاسة الأركان. والنظرية «تقليدية» بمعنى أنها مستوحاة من العقيدة القتالية الاميركية التي

بنحو واضح في السياسة التسليحية للجيش الأحمر: الاميركيون يسيطرون على المحيطات بحاملات طائراتهم، فيركّز الروس على سلاح الغواصات، الغرب يتفوق على الصناعة الروسية في تكنولوجيا الطيران، فينهمك السوفيات في تطوير أنظمة الدفاع الجوي الخ... في نهاية الأمر، انهيار الاقتصاد السوفياتي تحت وطأة الجهود المحمومة لمنع الغربيين من التأسيس لـ«تفوق نوعي» في الميدان. حين تواجه عدواً أقوى منك، فإن أول شروط الحرب الامتكافئة هي ألا تحاول تقليد عدوك أو اللعب في ملعبه. هذا تبدي بوضوح في المواجهة الجوية بين السوريين والاسرائيليين فوق سهل البقاع في 1982، وهي كانت حافلة بالمغازي. ما حدث هو أن اسرائيل ادخلت الى الساحة تقنيات تشويش وحرب الكترونية لم تكن قد استعملت في أي مسرح حربي من قبل. دخلت وحدات الدفاع الجوي السوري واداراته في المواجهة وهي مسلحة بمعدات ميكانيكية، في حين أن اسرائيل كانت قد دخلت العصر الرقمي. اميركا لم تعط حتى حلفاءها الأوروبيين في الـ«ناتو» وسائط الحرب الالكترونية التي زودت بها اسرائيل. بصياغة أخرى: لو حصلت الحرب العالمية الثالثة في 1982، واجتاح الاتحاد السوفياتي اوروبا، لما واجه السوفيات فوق سماء فرنسا والمانيا الغربية التقنيات التي شاهدناها في سهل البقاع. مواجهة البقاع كانت ايداناً بجيل جديد من الحرب الجوية وبشروط مختلفة عن الماضي. يقول أحد المحللين العسكريين إن الصناعة العسكرية الغربية نجحت في تحويل الحرب الى منافسة لا حدود لها في مراكمة الراسمال والتكنولوجيا. وهو الميدان الذي كان الـ«ناتو» يملك فيه الأفضلية. لم تعد الحرب الجوية متعلّقة بأن تصمم طائرة «جيدة»، تطير بسرعة وتناور، وأن تضع عليها رادارات وأسلحة متطورة. بل صارت المنافسة هي في «البنية التحتية» الهائلة (والبالغة الكلفة) التي تحيط بهذه الطائرة: طائرات الاواكس، معدات الحرب الالكترونية، طائرات التشويش، طائرات التزويد بالوقود، وسلسلة معقدة من معدات الدعم، كلها مرتكزة على تكنولوجيا مستقبلية وتكلف مبالغ لا تصدق. الحرب الالكترونية وتقنيات ضرب دفاعات الخصم SEAD صممت كي تمنع تكرار سيناريو فييتنام وحرب 1973، حيث حرمت الصواريخ الروسية الجيوش الغربية من «التفوق النوعي»، وأجبرتها على خوض الحرب بشروط شبيهة متكافئة. أضحي استعمال الأجيال القديمة من صواريخ «سام» ضد الطائرات الغربية شبيهاً باستعمال رماح الـ«زولو» ضد بنادق البريطانيين.

## تحيا الترويكا!

جواد نديم عدره\*

لمناسبة إغداق جائزة الرئيس الياس الهراوي على الرئيس بري، تذكّر اللبنانيون ذلك العهد الزاهر. وبحسرة الترحم على الماضي ويقين العارف أن الأيام الآتية ستكون أشد سوءاً، رددوا جميعاً «رزق الله على إيامكم». نعم، فالترويكا هي هرم، كما قال الرئيس بري، أسس لما نحن عليه اليوم من نعيم. فغازي كنعان، طيّب الله ثراه، الذي أصبحت في عهده عنجر قبلة اللبنانيين ومحجّتهم، له فضل علينا جميعاً، وخاصة على الأحزاب القومية والعروبية والثورية التي كان شغلها الشاغل تقبيل يديه والسدس لديه على خصومها وأصدقائها ورفاقها دون تمييز. فخلال عهد الهراوي لم يثر أحد بشكل غير مشروع ولم تُنتهك حرمان الناس وأرزاقهم وحياتهم. خلال ذلك العهد الميمون لم يكن هناك هجرة، وإن سافر نحو 300 ألف مواطن (نحو 8% من السكان) فقط لا غير دون عودة بسبب طموحهم وحبهم للاستكشاف، وتم بمحض الصدفة تجنيس نحو 200 ألف فرد وازداد الدين العام حوالي 16,5 مليار دولار، وحقق البعض أرباحاً تقدر بحوالي 30 مليار دولار من المضاربة بالعملة والاكتتاب بسندات الخزينة بفوائد مرتفعة. رحم الله غازي كنعان الذي دوخ الناس بعديريته وسقط وحيداً لا يذكره أحد بكلمة وفاء: «سوريا طلعي بزاً»

السلطة انسحابه بالرغبة بعدم إراقة الدماء، فيما بدا حفاظاً على ماء الوجه من جهة، لكنه استجابة ضمنية لمطلب ماكين.

وأعيد نشر الجيش بطريقة صورية، تمركز من خلالها من دون فاعلية، استرضاءً للموقف السوري.

ما هي النتيجة على صعيد قيام المنطقة العازلة في هذه الأجواء والمعطيات؟ بعد عدة استهدافات للجيش، وتواطؤ السلطات أكثر من مرة مع دعوات الشارع، وماكين، خرجت الساحة من أبة سيطرة للسلطات الرسمية، حتى بوجود الجيش الرمزي. ومن يجول في المناطق الحدودية، يدرك تماماً وبوضوح ودون أية التباسات أن الحدود سائبة، يستطيع من يشاء التحرك عليها كيفما شاء، ولا يمنع وجود بعض المراكز العسكرية المتباعدة الهامة الدور، من منع أي شخص من التحرك، خصوصاً إذا كان الأشخاص موضوع الحراك كثر ويعدون بالآلاف من لبنانيين وسوريين، بحسب ما يفيد الأهالي.

وبهذا المعنى، لم يعلن أحد رسمياً قيام منطقة عازلة، لكن المنطقة عازلة، بما تؤديه من وظيفة، وبما يقوم فيها من واقع خال من أي سلطة تمنع الحراكات غير «المرغوب فيها». بهذا المعنى، باتت عكار وجارتها طرابلس منطقة عازلة وفق مطالبات التحالف الغربي وامتداداته المحلية.

\* كاتب لبناني

سيناريو الموقف أظهر كأن الجمهور يريد إزاحة الجيش عن الشارع، وطالبت قوى تقف خلف الحراك في المنطقة الحدودية بإزاحة الجيش ثم تراجع، وراح الموقف يتخبط بين القبول بالجيش والرافض له من المعسكر عينه، فلم يكن أمام السلطات الرسمية إلا أن تظهر وكأنها تحفظ ماء وجهها بإبعاد الجيش عن الصدام منعا لإراقة الدم.

لقد تمكنت الحركة التي أعقبت حادثة الشيخ عبد الواحد من إزاحة الجيش عن الشارع، وراح السجبال بين ضرورة عودة الهيبة للدولة وإعادة نشر جيشها من جهة، مع المطالبة بإقامة المنطقة العازلة لتسهيل حركة المعارضة السورية. تجلّى هذا السيناريو بزيارة السيناتور الأميركي جون ماكين لبنان في الأسبوع الأول من تموز 2012، إذ طالب علناً بالمنطقة العازلة، وبسحر ساحر، أطلقت المحكمة العسكرية سراح ثلاثة ضباط سرعان ما استجابت لإطلاقهم مجموعات من الشبان وأسرعت لقطع الطرق في عكار احتجاجاً مطالبة بإعادتهم إلى السجن أو تحويل الملف إلى المجلس العدلي.

من يقرأ الموقف من أوله لآخره يلاحظ كيف استحضر شعار «النأي بالنفس» لاسترضاء الجميع: التحالف الموالي لماكين، قوى الرابع عشر من آذار، والتحالف الموالي لسوريا، و8 آذار.

سحب الجيش تحت ضغط الشارع وبررت

قالوا له ولخليفته رستم، ولم يتذكروا خيراته عليهم.

خلال ذلك العهد الميمون تربع فارس بوز وزيراً للخارجية ثماني سنوات، وإيلي حبيقة (حليف سوريا والحزب القومي وصاحب الأيادي البيضاء علينا جميعاً) وزيراً للموارد المائية والكهربائية حوالي 5 سنوات، بعد تعيينه وزيراً للشؤون الاجتماعية والمعاقين والمهجّرين... والرجاء الانتباه إلى كلمتي «معاقين ومهجّرين».

وتحول معظم زعماء لبنان كما هم على حقيقتهم مهرجين لدى أصغر مخابراتي للنظام السوري. ولقد أسس ذلك العهد لدعوات الحرية والسيادة والاستقلال، فتصدت السيدة منى الهراوي بصحبة سيدات المجتمع تظاهرة 14 آذار 2005 منادية بإنهاء «عهد الوصاية». كم كان ظالماً ذلك العهد بحقها!

عذراً إن غاب عنّا نحن البسطاء أن عهد الرئيس الهراوي كان عهد الرئيس صاحب النكتة، وعهد السين السين (سوريا والسعودية)، والألف فاء (أميركا وفرنسا)، و... فليملأ اللبنانيون الفراغ.

وبعد هذا كله هناك نقطة واحدة مضبئة في عهد ذلك الرجل، وهي إصراره على قانون الزواج المدني الاختياري الذي لا يزال قابعا في أدراج «السرايا الكبيرة»، أدام الله ذلك المبنى ذخراً لنا نحن أهل السنة والجماعة.

\* كاتب لبناني